سلسلة الإسلام للجميع

في معنى الصدقة

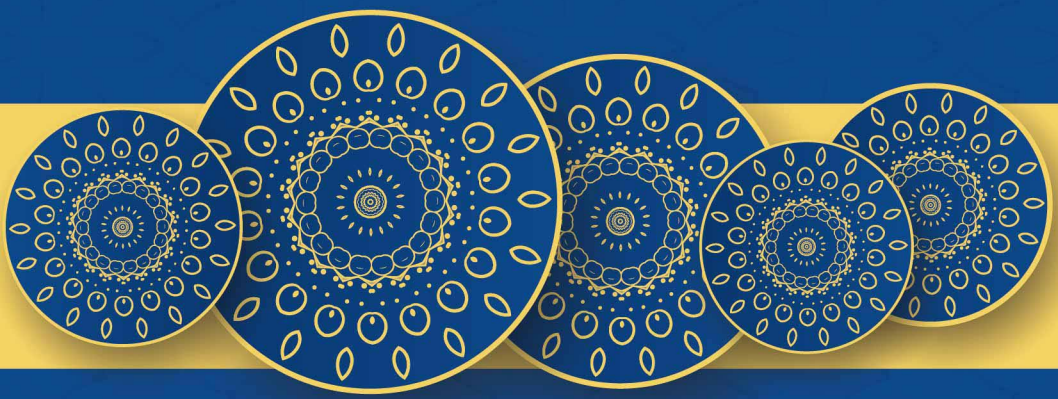

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

المقدّمة

قال تعالى:

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ ﴾ [البقرة].

وصفَ اللّه تعالى المُنفِقين أموالهم طلباً لرضوانِ اللّه ومغفرتِه كبستانٍ جيِّد التّربة ملتفّ الشجر، خصب النّبات، وهو بمكان مرتفع متمتِّع بالشّمس والهواء، ينزِلُ عليه المطر الغزير، فيُثمر ضِعفَي غلّتِه، وإذا نزلَ عليه مطرٌ خفيفٌ أثمرَ أيضاً لجُودَة تُربَتِه وكرم مَنْبَتِه.

إنّ المُنفِقَ -ابتغاءَ مَرضاةِ اللّه تعالى وفي سبيلِه- يجودُ بقَدْرِ سَعَتِه؛ فإن أَصابَهُ خيرٌ كثيرٌ أَنفَقَ كثيراً، وإن أَصابَهُ خيرٌ قليلٌ أَنفَقَ بقَدْرِ طاقته؛ فخَيْرُهُ دائم، وبِرُّهُ لا ينقطع، فهو مُحسِنٌ في كلتا الحالتَيْن، ويَجِدُ ثَمرَةَ بَذْلِهِ على كلّ حال.

أتُحِبُّ أيّها المُنفِقُ لغير اللّه أن تكون لك جنّةٌ، أي بستانٌ كبيرٌ

فيه النخيلُ والأعنابُ ومختلفُ الأثمار، وقد عَلَّقتَ عليه الآمال، ورَجَوْتَ أن ينتفعَ بهذا البستان صِغارُكَ وأنتَ في حال الكِبَرِ ولا تقدر على الكسب؟ وهم لا مَوْردَ لهم إلا إنتاجُ هذه الجنّة؟ وإذ بريح السّموم اللافحةِ بحرّها، أو ببَردِها القارس، تَحرقُ، وتَبيدُ الثّمرَ في هذا البستان؟

هذا حالُك إذا أنفقتَ مالَكَ رياءً أو بالمنّ والأذى..

لن تَجدَ له أيّةَ فائدةٍ في يوم القيامة، ولن تجدَ لعملِكَ غيرَ الحسرة والنّدامَة.. وأنتَ في ذلك اليوم الرّهيب - يوم القيامة - في أشدّ الحاجة لمعرفة نتيجة عملك! لأنَّ إعصارَ الرّياءِ والمنّ والأذى بدَّدَ كل ما فَعلتَهُ من خيرٍ في الظّاهر، وصار لا شيئاً في الحقيقة والواقِع..

قال تعالى:

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾[البقرة].

منافع المال وآفاته

١- المال ابتلاء

إنّ اللّه ﷻ يعطي عبدَه المالَ على سبيل الابتلاء والامتحان، هل يصرفه في طاعة اللّه ويشكر المُنعِم الذي أنعمَ فيزيده من النّعمة؟ أم يكفُر بها، فيقطعُها اللّه عنه؟ وقد يُصيبه أنواع البلاء والآفات.

ذُكر أنّ الوليد بن المُغيرة - وهو سيّد قريش في الجاهلية، ومن أشدّ أعداء الدعوة الإسلامية - كان غنيًّا، ذا مال وبنين، فجحد نعمة اللّه، وكفر بها، وعصى، وتمرّد، فوصفه اللّه ﷻ في سورة [القلم]:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

أي: إنّه كان حلّافاً، كذاباً، غليظ القلب، جافّ الطّبع، فظّ الكلام، سيّء الخُلق، متكبّراً على الحقّ وعلى الخَلق، محتقراً للنّاس، يمشي بالغيبة والنّميمة، ويُكثر المعاصي.

قال ﷺ: **"ألاَ أُخبِرُكُم بأَهلِ الجَنَّة؟ كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعِّف، لو أَقسَمَ على اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُم بأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِر"** (٤٦٣٤، صحيح البخاري).

(**مُتَضَعِّف**) بكسر العين: أي متواضع ليِّن هيِّن -، ورُوِيَ بفتح العين أي

يَستَضعِفُه النّاس ويحتقرونه ويتجبّرون عليه لضعف حاله في الدنيا.

(**أَقسَمَ**) حلف يميناً طمعاً في كرم اللّه تعالى.

(**لأَبَرَّهُ**) لحقّق له ﷻ ما أَقسم عليه ولأَجاب طلبَه ودعاءه.

(**الجوّاظ**): الجَموع المنوع الذى يجمع المال من أيّ جهة، ويمنع صَرفَه فى سبيل اللّه.

(**عُتُلٍّ**): الشّديد، الجافي، الغليظ من النّاس.

يتابع القرآن الكريم وَصفَه للوليد بن المُغيرة بقوله تعالى:

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القلم].

أي إنّه اذا تُليَت عليه آيات القرآن زَعَمَ أنّها كذب، مأخوذةٌ من قصص وأباطيل القدماء وليست من عند اللّه تعالى.

هذا الجبّار الطّاغية المعاند للحق المبارز للّه ولرسوله بالمحاربة، وَصَفَه اللّه ﷻ في سورة [المدّثّر] بقوله تعالى:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ

لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

أي: دعني ومن خلقته في بطن أمّه وحيدًا، لا مال له ولا ولد، وجعلت له مالا واسعًا، وأولادًا، ويسَّرت له سبل العيش، ثم يأمُل - بعد هذا العطاء - أن أزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي.. سأُدخله جهنّم التي يتولّى أمرها بالعذاب تسعة عشر ملكًا من الزّبانية الأشدّاء.

٢- النّعمة امتحان

إذا أنعم اللّه عليك يا أخي المسلم نعمةً، فأَسبَغَها عليك، ثم جعل حوائج النّاس إليك، فلا تجحد النّعمة، بل اشكُر المُنعِم الذي أنعم، واعلم أنّ ما أصابك من نعمةٍ فهي من اللّه ﷻ، فلا تتبرّم بحاجة النّاس إليك، ولا تتأفّف من طَلَبِهم منك، ولا تظنّنّ أنّ النّعمة إنّما جاءت بفضل ذكائك وجُهدك وتدبيرك، بل إنّما جاءت بفضل من اللّه تعالى ليَبتَليك بها، فهل تؤدّي حقّ النّعمة؟ أم تكفُر بالمُنعم الذي أَنعم؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"ما مِن عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عليه نِعْمَةً فَأَسْبَغَها عليه، ثُمَّ جَعَلَ مِن حَوائِجِ النّاسِ إليه، فَتَبَرَّمَ، فَقَد عَرَّضَ تلك النِّعْمَةَ للزّوال" (٢٦١٨، رواه الطّبراني).

وقال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

٣- قصّة أصحاب الجنّة

بيّن اللّه تعالى أن اللّه يبتلي أهل مكّة كما ابتلى أصحاب الجنّة ذات الثّمار، كُلّفوا أن يشكروا المُنعم على نعمه ويعطوا الفقراء حقوقهم، فلمّا جحدوا النّعمة وحَرموا المساكين حرمهم اللّه الثمار كلّها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

ها نحن أولاء أمام أصحاب الجنّة، جنّة الدنيا لا جنّة الآخرة، أمام أصحاب بستان كبير حوى ما لذّ وطاب. لقد كان للمساكين حظ من ثمر هذه الجنّة على أيام صاحبها الطيّب المؤمن الصّالح، والد هؤلاء الأبناء، وها هم الأبناء - ورثة ذلك الرجل الصالح - يبيّتون أمراً ليستأثروا بثمر البستان لأنفسهم، وليحرموا المساكين حظّهم. لذا، قرّروا أن يقطعوا

ثمر البستان في الصباح الباكر دون أن يتركوا منه شيئاً للمساكين الذين اعتادوا في كلّ عام أو كلّ موسم أن يأخذوا نصيبهم من زكاة البستان، وأقسموا على هذا، وعقدوا النّيّة عليه.

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

فلنَدَعْهُم في غفلتهم وفي كَيْدِهم الذي بيَّتوه، ولننظُر ماذا يجري من ورائهم في هذا الليل، وهم لا يشعرون!

إنّ اللّه ﷻ لا تأخذه سِنَة ولا نوم، يدبّر لهم غير ما يدبِّرون جزاء على ما بيَّتوا من بَطْرٍ للنّعمة ومَنعٍ للخير وبُخلٍ بنصيب المساكين الذي فرضه اللّه ﷻ لهم.

إنّ هناك مفاجأة تتمّ في خفيةٍ وحركةٍ كحركة الأشباح في الظّلام والنّاس نيام:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾

ماذا حدث؟.. الثّمار تناثرت، الأشجار تكسَّرت ، الآمال تحطَّمت، المؤامرة أُحبِطت واستيقظ النّائمون مبكِّرين كما تواعدوا، ونادى بعضهم بعضاً لينفّذوا ما عزموا عليه:

﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

انطلقوا إلى بستانهم وهم يتحدّثون بصوت منخفض حتى لا يسمعهم أحد، ولا يلفتوا إليهم الانتباه! ويقول بعضهم لبعض: لا تمكِّنوا فقيراً من الدخول عليكم لئلّا يطلُب منكم أن تعطوه من ثمر البستان ما كان أبوكم يعطيه.

إنّهم يمنُّون أنفسهم بأنّهم سيحصلوا على كامل الثّمر، وسيكون لهم الربح الوفير. فلنر كيف يصنع الماكرون المبيِّتون؟

﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

ذهبوا إلى البستان وفي نيَّتهم المنع، ظانّين أنّهم قادرون على حرمان الفقراء. فإذا بهم يُواجَهون بنقيض مقصودهم:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قالوا: ما هذه جنّتنا الموفورة الثمار! ليست هذه هي البساتين الغنّاء التي تركناها بالأمس! قد نكون أخطأنا طريقنا وتُهْنا عن أرضنا!

وتوقّفوا هنيهة.. علموا أنّ هذه جنّتهم.. فهموا أنّ اللّه ﷻ عاقبهم بإتلاف ما فيها من الشّجر والثّمر، فقالوا: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

• لا ينفع النّدم!

الآن، وقد حصل ما حصل؛ يتقدّم أوسطُهم وأعقَلُهُم وأصلَحُهُم -ويبدو أنّه كان على غير رأيهم- ولكنّه تابَعَهُم عندما خالفوه، وهو فريدٌ في رأيه، ولم يصرّ على الحقّ الذي رآه، فناله الحرمان كما نالهم. يتقدّم هذا منهم، ويذكِّرهم بما نصحهم به سابقاً من ضرورة إعطاء حقّ الفقراء والمساكين

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

الآن فقط، يسمعون لأخيهم الذي نصحهم سابقاً، ولكن بعد فوات الأوان، وبعد أن ذهب البستان. وكما يتنصّل كلّ شريك من التَّبِعَة عندما

تسوء العاقبة، ويتوجّه باللوم على الآخرين، تنصَّلَ كلٌّ منهم من التَّبِعَة، واتّهم غيرَه بأنّه هو الذي أشار بحرمان الفقراء.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ بحرمان الفقراء.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

وأخيراً، يتركون التّلاوم، ويعترفون جميعاً بالخطيئة أمام العاقبة الرديئة:

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

وأخيراً، يتوجّهون إلى اللّه المُنعم، يدعونه، لأن يُعطيهم خيراً من هذا الثّمر، ويسألونه العفو عمّا بدا منهم

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

أي مثل هذا العذاب الذي بلونا به أهل هذه الجنّة من الحرمان، سيكون عذاب كلّ مَن خالف أمر اللّه تعالى وبخل بما آتاه اللّه وأنعم به عليه، ومنع حقَّ المسكين والفقير.

هذا عذاب الدنيا، وإنّ عذاب الآخرة أشدّ وأعظم وأشقّ من عذاب الدنيا. وهناك في الآخرة حيث الحساب، من أين اكتَسبتَ وفيما انفقتَ؟ هناك حيث ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ

يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾[المعارج].

إنّ جهنَّم تدعو مَن دُعِيَ إلى الهدى فأدبر عنه، وجمع المال الكثير ووضعه في أوعيةٍ كثيرة، في الخزائن، في البنوك، تحت الأرض خوفاً عليه، ونسيَ حقَّ النِّعمة، وحقَّ الزكاة، وحقَّ الشّكر للّه ﷻ، إنّه أصبح أسير ما مَلَكَ، فلا يتطلَّع إلى ما هو خيرٌ له عندَ ربِّه.

أمّا المؤمن الذي عَمَرَ قلبَه الإيمان، فإنّه يعيش في طمأنينة لأنه متَّصلٌ باللّه ﷻ، مطمئنٌّ إلى قَدَرِه، شاعرٌ برحمتِه، صابرٌ على ابتلائِه، متطلِّعٌ إلى فَرَجِه، عالِمٌ أنّه يُنفِق مِن رزقه، وأنّه مجزيٌّ على ما أنفق في سبيله، ومعوَّضٌ عليه في الدّنيا، مجزيٌّ عليه في الآخرة.

﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المعارج].

٤- حذار من الكفر بالنّعمة

إنّ اللّه ﷻ يعلِّمنا ويحذِّرنا بأن نعَمَه الكثيرة والوفيرة التي يُنعمها على عباده قد يخدعُ الإنسان نفسَه بها، يظنُّ أنّ صحَّته وعافيته أمرٌ لازمٌ مستمر، فيُسيء استخدامَها ويعرِّضها للآفات، ويرتكبُ بها المحرّمات،

ولا يشكر المُنعمَ الذي أنعم، ولا يُؤدّي زكاة صحّته وعافيته بخدمة النّاس وبخدمة المظلومين والمقهورين والضِّعاف. وفجأة، تذهب الصّحّة والعافية، وتنتابه العِلل من كلّ مكان، فيتذكّر عندها فقط أنّه لم يؤدّ حقّ نعمة الصّحّة التي أعطاه اللّه إيّاها.

يَرزُق اللّه ﷻ العبدَ مالاً ويوسِّع عليه في الرزق، ويبعدُ عنه أنواع الخسارة، فيُفتَن ويظنُّ أنّ النّعمة ليست من المُنعم، وإنّما حصل عليها بذكائه ورجاحَة عقله وحُسنِ تدبيره، وينسى أنّ الذي أعطاه قادر على حرمانه، ينسى أنّ اللّه ﷻ فرض في ماله حقًّا للفقير والمسكين وذي الحاجة.

وتقع الكارثة، ويفقِد الإنسان كلَّ شيء، عندها فقط يتذكَّر، يلومُ نفسَه ويلعنُ فِعلَه، وقد يتّهم غيره، ويندم على ما كان منه، ولكن لا فائدة من النّدم.

٥- فتنة المال

إنّ فتنَ الدنيا كثيرةٌ، ولعلَّ المالَ أعظمُها فتنةً لأنّه لا غنى للإنسان عنه. فإذا افتقر الإنسان زاد شقاؤه، وإذا اغتنى زادَت رغبتُه في زيادة المال، وازدادَ طغياناً وبخلاً وكبرياء.

إنّ اللّه ﷻ حذّرنا من أن يكون المالُ مانعاً لنا عن طاعته بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن

ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[المنافقون].

فالمال الذي بين يديكَ يا أخي المسلم هو مالُ اللّه ﷻ، وهو أمانةٌ في عنقك، وقد أَوكَلَ اللّه إليك حرِّيَّة التّصرف فيه في الوجهة التي تريدها.

فمن أَلهاه مالُهُ وولدُهُ عن طاعةِ اللّه وذكرِه، ومن أَعماهُ غناهُ وكثرةُ أولاده عن أن يحفظَ هذه النّعمة، ومَن استخدم هذه النّعمة في غير الوجهة التي أمره اللّه بها، وتبرّم من الانفاق على الفقراء والمساكين خوفاً من نقصان ماله فإنّه يعرِّض هذه النّعمة للزّوال.

قال ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسأَلَ عَن عُمُرِهِ فيما أفنَاه، وعن عِلْمِهِ فيمَ فَعَلَ، وعن مالِهِ مِن أَيْنَ اكتَسَبَهُ وفِيمَ أَنفَقَهُ، وعن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاه** » (٢٤١٧ سنن الترمذي).

فإذا اكتسبتَ المالَ من مصدرٍ حلال فقد قطعتَ نصفَ الطريق، وإذا أنفقتَه في طاعةِ اللّه فقد أكملتَ الطريق وكان ذُخراً لك يوم القيامة.

أما إذا أَنفقتَهُ في معصيةِ اللّه ﷻ كان المال وبالاً عليك يوم القيامة.

قال ﷺ: « **يقولُ ابنُ آدمَ مالي مالي، (قال): وهل لَكَ يا ابنَ آدمَ، مِن مالِكَ إلا ما أَكَلْتَ فأَفنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأَبلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فأَمْضَيْتَ** » (٢٩٥٨ صحيح مسلم).

٦- احذر أن يكون المال سبباً للبطر والتّكبّر

نحن نشاهد في كلّ يوم أُناساً امتَحَنَهم اللّه تعالى بالمال، فَبَطَروا، وتكبّروا، وأَكلوا الحلالَ والحرام، ولم يُبالوا بعواقبِ ما يفعلون، ثم تركوا كلَّ ذلك، تركوا المالَ، تركوا الجاهَ تركوا السّلطان، تركوا الأصحاب والأحباب، ودُفنوا في الأرض التي خُلِقوا منها، وأُعيدوا للتّراب الذي تطاولوا فوقه:

﴿ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥ ﴾ [طه].

وبعد الموت، يستولي على أموالهم وَرَثَتُهم الذين يُبعثِرون ما جمعوا، ويهدمون ما بَنوا؛ فإذا جنّاتُهُم وزروعهم وسلطانُهُم الذي أَتعبوا أَنفسَهُم في الحصول عليها والفَوز بها تتحوّل إلى نقمةٍ يُسأَلون عنها يوم القيامة، من أَين اكتُسِبَت؟ وفيم أُنفِقَت؟ قال تعالى:

﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩ ﴾ [الدخان].

٧- هل المال مذموم؟

ولكن، هل يُفهم من هذا أنّ المالَ مذمومٌ؟ وأنّ اقتناءَهُ يُوجِبُ غضبَ اللّه ﷻ؟ إنّ اللّه ﷻ سمّى المالَ في القرآن الكريم ﴿ خَيۡرًا ﴾،

قال تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة].

فَتسميةُ المالِ بالخير دلالةٌ على أنّ المالَ بابٌ من أبواب الخير، إذ أنّ كلّ ما جاء في ثوابِ الصّدقةِ إنّما جاءَ عن طريق المال. ركنُ الحجّ مثلاً لا يمكنُ القيامُ به إلا بواسطة المال، والجهادُ في سبيل اللّه، وتجهيزُ الجيوش لا يتمُّ إلا بالمال. لذلك، قال ﷺ:

«**نِعْمَ المالُ الصَّالح مع الرَّجُلِ الصَّالح**» (٣٢١٠ صحيح ابن حبان).

بل إنّ اللّه ﷻ يَعِدُ عبادَهُ المتّقين بأن يُوسِعَ عليهم رزقَهُم إذا استغفروه. وهذا نوحٌ عليه السلام يقولُ لقومه:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح].

فالمال محمودٌ من حيث هو خيْر، ومذمومٌ إذا استُخدِمَ في شرٍّ؛ فليس هو خيراً مَحْضاً وليس شرّاً محضاً، فهو أداةٌ تُستخدمُ للخير وللشّر.

فمن شُرورِ توافر المال أنّه يمكنُ أن يسهّلَ المعصية؛ فبعضُ الطّباع تميلُ إلى اتّباع الشهوات، والمالُ يسهّلُ الحصول عليها، عندما يملكُ الإنسانُ ما يزيدُ عن حاجته.

وقد استعاذَ رسولُ الله ﷺ من شرِّ المال، فقال: «**اللهمَّ اجعلْ رِزْقَ**

آلَ محمّدٍ كفافاً» (٦٣٤٣ صحيح ابن حبان).

وقال ﷺ: «**اللهمَّ أَحيني مسكيناً، وأَمِتْني مسكيناً، واحشُرني في زُمرَةِ المساكين يومَ القيامة**» (٢٣٥٢ سنن الترمذي).

ومن شرور المال أيضاً أنّه يدفع إلى الحرص والطّمع والبخل، وهذه آفاتٌ قاتلة نعوذ باللّه تعالى أن نصل إلى دركها.

أما استعمالُ المالِ للخيرِ فأبوابُهُ كثيرة:

فالسخاءُ هو خُلُقُ الأنبياء. قال ﷺ:

«**السَّخاءُ شَجَرَةٌ مِن شَجَرِ الجَنَّةِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِيَاتٌ في الدُّنيا، مَن أَخَذَ بِغُصْنٍ منها قَادَهُ ذلك الغُصْنُ إلى الجَنَّة**» (١٠٨٧٥ شعب الايمان).

لذلك، نجدُ الأنبياءَ والصّالحين قليلي المال، ليس بسبب فقرهم، ولكن بسبب كَثرة بَذْلِهم وسخائِهم. قال تعالى يصفُ ابراهيم عليه السلام:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات].

عَن عائِشَة (رضي الله عنها) قَالَت: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «**السَّخِيُّ قَريبٌ مِن اللَّه، بَعيدٌ مِن النَّار، قَريبٌ مِن الجَنَّة، قَريبٌ مِن النَّاس، والبَخيلُ بَعيدٌ مِن اللَّه، بَعيدٌ مِن الجَنَّة، بَعيدٌ مِن النَّاس، قَريبٌ مِن النَّار، والجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مِن العَابِدِ البَخيل**». (٢٣٦٣ المعجم الأوسط للطبراني).

والأسخياء هم رحمةُ اللّه تعالى في الأرضِ يُرسِلُهم إلى عبادِهِ لينزّلَ عليهم رحمته. قال ﷺ: «**إنَّ لِلَّهِ عبادًا اخْتَصَّهُم بالنِّعَم لمَنافِعِ العِبَاد، يُقِرُّهُم فيها ما بَذَلُوها، فإذا مَنَعُوها نَزَعَهَا منهم، فَحَوَّلَهَا إلى غَيْرِهِم**» (٥١٦٢ المعجم الأوسط للطبراني).

فكن أخي المسلم، رحمةَ اللّه في الأرض، وأدِّ ما أَوجَبَ اللّه عليك في زكاة مالِكَ، وادفع هذا الحقّ قبل أن يكون سبباً لبلوغك النّار، ادفع حقّ اللّه في مالِكَ قبلَ أن يُقالُ لك يومَ القيامة:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الحاقة].

أخي المسلم،

يا من أَنعَمَ اللّه عليه بنعمةِ المال أَنفِقْ فلا يزالُ أَمامكَ متّسَعٌ من الوقت؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة].

وقال تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزّلزلة].

- الفقراء كُثُر، إلى مَن يلجأون ليخفِّفوا عن أنفُسهم الفاقةَ وضيقَ العيش؟
- الأيتام كُثُر، بمَن يتأمّلون ليأخذَ بأيديهم، ويؤمّن لهم مستقبلاً يعيشون فيه كغيرهم من الناس؟
- الأرامل والعجزة كُثُر، ببابِ مَن يقفون ليقدِّمَ المساعدة لهم؟
- المرضى كُثُر، فممّن يطلبون الدواءَ للمرض المزمن الذي أصابَهم؟
- الضّيق الاجتماعي ينتشرُ، والعائلات المتوسّطة الدَّخل تسيرُ باتجاه الفقر بسببِ قلَّةِ المداخيل وزيادة الحاجات..

إنّ اللّه تبارك وتعالى ابتلى عبادَهُ جميعاً؛ ففريقاً ابتلاهم بالمال لينظر ما يفعلون به، وفريقاً ابتلاهم بالفقر لينظر هل يصبرون عليه؟

ولعل من تمام الابتلاء بالمال أن يجعلَ اللّه ﷻ في الأُمّة المحتاجين ليقدِّم إليهم الأغنياء ما فرضه سبحانه وتعالى من الزكاة، وما رغّب فيه من الصّدقات؛ فينال الأغنياءُ أجراً أعظم مما أنفقوا في

التقرّب من اللّه تعالى. ولو لم يكن ثمّةَ فقراء لتعذّر على الأغنياء أن يتقرّبوا إلى اللّه تعالى بصدقات أموالهم. فالنّعمةُ الحاصلة من التصدّق على الفقير أعظمُ من النّعمة الواصلة منك إلى الفقير. فلا تبخل على نفسك بما يعودُ عليك نَفعُهُ عند اللّه تعالى، ولا تؤجّل صدقةً - يمكنك أن تدفعَها اليوم - إلى الغد؛ فربّما يَستَجدُّ المانع فتخسرَ فرصةً لا تُعوَّض.

٨- الإنفاق في سبيل اللّه

يقول اللّه تعالى في كتابه العزيز:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة].

هذه آيات نزلت في عثمان بن عفّان وعبد الرحمٰن بن عوف.

أمّا عثمان بن عفّان فقال: عليَّ جهاز من لا جهاز له، في غزوة تبوك. فجهَّز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، ووضع بين يدي رسول اللّه ﷺ ألفَ دينار، فصار رسول الله ﷺ يقلّبها ويقول: " «ما ضَرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعد اليوم مَرَّتيْن»."

قال أبو سعيد الخدري: رأيتُ رسول اللّه ﷺ رافعاً يده يدعو لعثمان ويقول: «**يا ربِّ، إنّي قَد رَضيتُ عَن عُثْمانَ، فَارْضَ عنه**». فما زال رافعاً

يده حتّى طَلَعَ الفجر، فأنزل اللّه تعالى فيه :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾.

أمّا عبد الرحمٰن بن عوف، فإنّه أتى إلى النّبي ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة، فقال: كان عندي ثمانية آلاف درهم، فأمسكتُ منها لنفسي ولعيالي أربعة آلاف درهم، وأربعة آلاف أُقرضها ربّي. فقال له رسول اللّه ﷺ: «**بارك اللّه لك فيما أمْسَكْتَ وفيما أَعطَيْتَ**».

وقد رغَّب القرآن الكريم في مواضع عديدة بالإنفاق في سبيل اللّه لأنه وسيلة إغناء الفقراء وتحقيق رفاه للأُمة، وصون عزّتها وكرامتها، ودحر عدوان المعتدين عليها. فما بخلت أُمّة بمالها إلا حاق بها الذّل والاستعباد، وتكالبت عليها الأُمم.

عن ابن عمر (رضي اللّه عنهما) قال : لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول اللّه ﷺ : «**ربّ زِدْ أُمّتي**»، فنزلت :

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة].

قال رسول اللّه ﷺ: «ربّ زد أُمّتي»، فنزلت :

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ

حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر].

هذا مثل ضربه اللّه تعالى لتضعيف الثّواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته. والحسنة تُضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

٩- من الإنفاق في طاعة اللّه

فمن الإنفاق في طاعة اللّه تعالى وابتغاء رضوانه وحُسن مثوبته نشر العلم، ودعم الجهاد، أو الدفاع عن الوطن، أو استقبال مهجَّرين من بلادهم.. أجل إنّ الإنفاقَ في هذه الأبواب؛ كحبّة زُرعت في أرض خصبة، فأنبتَت سبع سنابل في كلّ سنبلة مئة حبة، واللّه يضاعف لمن يشاء، أي بحسب إخلاص المُنفِق في عمله.. ففضل اللّه واسع، واللّه تعالى عليم بمن يستحقّ هذه المضاعفة.

عن عمران بن حُصَين أنّ رسول الله ﷺ قال:

«مَن أَرْسَلَ بنَفَقَةٍ في سَبيل اللَّه، وأَقامَ في بَيتِه، فَلَهُ بكُلِّ دِرْهَم سَبْعُ مِئَةِ دِرْهَم، ومَن غَزا بِنَفْسِهِ في سَبيلِ اللَّه، وأَنْفَقَ في وَجْهِهِ ذلك، فَلَهُ بكُلِّ دِرْهَمٍ سَبْعُ مِئَةِ أَلفِ دِرْهَم»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (١٧٦١، سنن ابن ماجه).

عن أبي هريرة- رضي الله عنه - أنّه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«دينَارٌ أنفَقْتَهُ في سَبيل اللَّه، ودينَارٌ أنفَقْتَهُ في رَقَبَة، ودينَارٌ

تَصَدَّقْتَ بِهِ على مسكين، ودينَارٌ أنفَقْتَهُ على أهلِكَ، أعظَمُهَا أجرًا الذي أنفَقْتَهُ على أهلك » (٩٩٥، صحيح مسلم).

١٠- من شروط الإنفاق وآدابه

من شروط الإنفاق وآدابه لاستحقاق مضاعفة الثواب في الآخرة ألّا يُتْبِع المتصدِّق ما أنفق أو بذل مَنّاً على الفقير بأن يحاسِب المتصدِّق الفقير على ما أعطاه، أو يُظهِر تفضّله عليه، وأن لا يؤذيه بعد أن تصدّق عليه، أويتطاول عليه بالكلام القبيح، أو يطلب جزاء عمله.

فإن التزم المتصدِّق بهذا، وأخلص في عمله، وطلب فقط مرضاة اللّه ﷻ كان له ثوابٌ كامل من ربّ العزّة الغنيّ المُتعال بمضاعفة الثّواب له؛ فيزيده اللّه من فضله لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف].

والمتصدِّق لا يخاف إذ يخاف النّاس، ولا يحزن إذ يحزن النّاس. يقول تعالى:

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾[البقرة].

١١- من نتائج البخل

أمّا البخيل الذي لا ينفق شيئاً في سبيل اللّه، ثم يندم عند الاحتضار على عدم إنفاقه لقوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون].

فاحرص أخي المسلم في ردّك على السائل بالكلام الحسن والردّ الجميل، ولو لم تتصدّق، فالرّدّ الحسن خير للسّائل والمسؤول، من صدقة يتبعُها أذًى وضرر.

إنّ الصّدقة شُرعت للأخذ بيد الضّعيف، والمنّ والأذى يُخرجها عن هذه الغاية التي شُرعت لها. واللّه ﷻ غنيّ عن صدقة عباده، وقادر أن يرزق الجميع، ولكنّها الحكمة الإلٰهيّة في الابتلاء والإختبار.

١٢- الإخلاص للّٰه عند دفع الصدقة

إنّ اللّه تعالى لا يقبل من العمل إلا ماكان خالصاً له، وابتغىَ به وجهه. والمُرائي يقصد بعمله غير وجه اللّه تعالى. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ

﴿ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة].

يخبر اللّه تعالى أنّ من صفات المستحقّين للثّواب العظيم هو عدم إتباع الصّدقات بالمنّ والأذى، لأنّ الأذى من شوائب الصّدقة والذي يُسقط الأجر والثّواب. فمن أَتبع صدقتَه بمنٍّ أو أذىً أو قدّم صدقةً لأجل الرّياء والسُّمعة حتى يُقال عنه: كريمٌ، جواد.. فمَثَلُه كمثل ترابٍ على حجر أملس، نزل عليه مطر شديد، فأزال التّراب وترك الحجرَ أملس لا شيء عليه؛ أي أنّه لا ثمرة ولا بقاء لعمله لأنه يضمحل ويتبدّد، ولا ينتفع بشيء ممّا فعل لا في الدنيا ولا في الآخرة.

إنَّ القولَ المعروف خيرٌ من الصّدقة التي يتبعها أذىً، والقول المعروف هو الدعاء والرجاء بما عند اللّه، وفي هذا أجر.

قال رسول اللّه ﷺ: « **الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ** ». (٢٣٨٢، صحيح مسلم).

وإنّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طَلْق؛ أي أن يتلقّى المسلم القادر على الإنفاق أخاه المسلم السائل بالبِشر والتّرحيب ليكون مشكوراً إذا أعطى، ومعذوراً إذا منع.

إنّ الزكاةَ التي فرضَها الله ﷻ على عباده تَحلُّ كثيراً من مشكلاتهم، فهل يؤدّي النّاسُ حقَّ اللّه في أموالهم؟

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات].

الحلّ الحقيقي هو في أداء حقِّ اللّه في المال، وهو الحلّ الوحيد الذي لا حلَّ سواه. وهذا ما سنوضحه لاحقاً في النّشرة الخاصّة في معنى الزكاة وكيفيّة أدائها إن شاء اللّه تعالى.

فهـــــرس

المقدّمة	١
منافع المال وآفاته	٣
١- المال ابتلاء	٣
٢- النّعمة امتحان	٥
٣- قصّة أصحاب الجنّة	٦
٤- حذار من الكفر بالنّعمة	١٠
٥- فتنة المال	١١
٦- احذر أن يكون المال سبباً للبطر والتّكبر	١٣
٧- هل المال مذموم؟	١٣
٨- الإنفاق في سبيل الله	١٨
٩- من الإنفاق في طاعة الله	٢٠
١٠- من شروط الإنفاق وآدابه	٢١
١١- من نتائج البخل	٢٢
١٢- الإخلاص للّه عند دفع الصدقة	٢٢

من مقاصد الصّدقة

- من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- أداء شكر نعمة اللّه ﷻ بالمال، إذ إنّ المالك على الحقيقة هو اللّه ﷻ .
- مواساة الفقراء والمحتاجين وسدّ حاجة المعوزين.
- إشاعة التّراحم والتّوادّ ودعم الرّوابط الأسريّة وتقوية الصّلات بين أفراد المجتمع.
- تزكية النّفس وتطهيرها بإخراج الشّحّ منها.
- سبب بركة المال ونمائه ووقاية للإنسان من المصائب والبلايا.
- طريق موصّل إلى الجنّة.
- دليل الطّبع السّليم والأريحيّة الكريمة ومدعاة لنصرة اللّه ﷻ .

إن مطبوعات العباد مرخصة بالقرار رقم ٥٣
تاريخ ١٩٧٩/٣/١٧ الصادر عن وزارة الإعلام
الناشر: جماعة عباد الرحمٰن – بيروت
هاتف: ٠١/٦٥٤٠٨٨ ص.ب: ١٥٥٠١٧ (بريد البسطة)
www.ibad.org.lb info@ibad.org.lb Ibad Al-Rahman Association